

" هذه التّوراة .. هي حياتكم "

(تشيئة 32)

يعتبر هذا الإصحاح من أعظم وأعمق أجزاء سفر التّثنية . إستعرض هذا الفصل كل تعاملات الله مع شعبه مسجلاً خطيئة إسرائيل الفظيعة وقضاء الله المرعب . نرى كيف أنّ الإنسان يخزّب كل ما يضع يده فيه , ونرى أعمال العدو التي تتعارض مع مقاصد ومشورات الله , ولكن الله باق على ما هو لا يتغيّر .

" أَنْصِتِي أَيُّهَا السَّمَاوَاتُ فَأَتَكَلَّمُ وَلَتَسْمَعَ الْأَرْضُ أَقْوَالَ فَمَي . يَهْتَطِلُ كَالْمَطَرِ تَعْلِيمِي وَيَقْطُرُ كَالْتَدَى كَلَامِي . كَالطَّلِّ عَلَى الْكَلْبِ وَكَالْوَابِلِ عَلَى الْعُشْبِ . إِنِّي بِاسْمِ الرَّبِّ أَنْادِي . أَعْطُوا عَظْمَةً لِلِإِهْيَا . "

هذا هو الأساس الوطيد الذي لا يتزعزع لكل شيء !

إنه لنا في إسم الرب : الملجئ الأمين والعزاء الكامل

" هُوَ الصَّخْرُ " - صخر الدهور ربنا يسوع فهو الصّخر - بأل التعريف ومن يتكل عليه فلا يتزعزع - وعلى هذا الصخر يستريح القلب ويطمئن مهما كانت الظروف .

" الْكَامِلُ صَنِيعُهُ " - كل ما يفعله كاملاً , وهذا بجد ذاته يملئنا بالفرح والتّعزيات ويقطر كالتدى على النفس العطشى لتعزيات الرب .

" إِنْ جَمِيعُ سَبِيلِهِ عَدْلٌ . إِلَهٌ أَمَانَةٌ لَا جَوْرَ فِيهِ . صَدِيقٌ وَعَادِلٌ هُوَ " - فلا بد أن ينتصر عدل الله أخيراً , ورغم كل فشل البشر يبقى الله أميناً لا يستطيع أن ينكر نفسه , وجميع تعاملاته معنا عادلة وحقّة ولا بد أن يعاقب الله الإنسان على أعماله الرديئة .

" فَسَدُّوا تِجَاهَهُ الَّذِينَ هُمْ عَارٌ وَلَيْسُوا أَوْلَادُهُ جِيلٌ أَعْوَجٌ مَلْتَوٍ . هَلْ تَكَاْفُونُ الرَّبَّ بِهَذَا يَا شَعْبًا غَيِّبًا غَيْرَ حَكِيمٍ؟ أَلَيْسَ هُوَ أَبَاكَ وَمُفْتَنِيكَ هُوَ عَمَلِكَ وَأَنْشَأَكَ؟ " - إن كل شيء أمام الله جلي وواضح فهو : (1) الأب : في حنانه (2) المشتري : في فدائه (3) العامل : بأمانته (4) والمنشيء : بكماله . لقد كان هذا الشعب معد لأن يأخذ الحكمة من الله بسبب علاقته معه .

" أَذْكَرُ أَيَّامَ الْقَدِيمِ وَتَأْمَلُوا سِنِي دَوْرٍ قَدَوْرٍ . آسَأَلُ أَبَاكَ فَيُخَبِّرُكَ وَسَيُوحِّكَ فَيَقُولُوا لَكَ . حِينَ قَسَمَ الْعَلِيُّ (لقب الله في الحكم الألفي) لِلْأُمَمِ حِينَ فَرَّقَ بَنِي آدَمَ نَصَبَ نُحُومًا لِشُعُوبٍ حَسَبَ عَدَدِ بَنِي إِسْرَائِيلِ . " - يا له من حق مجيد معلن امام أنظارنا الآن ! ففي تتبع علوم التاريخ والجغرافيا الكتابية نجد أن إسرائيل وأرضه هما مركز الإهتمام الإلهي , فباقي الأمم يعتبرون فقط بعلاقتهم مع بني يعقوب وفلسطين , وجعل الله في مشوراته أن يورث هذه الأرض لإبراهيم ونسله . فقد إختار الله قطعة صغيرة لا مملكة كبيرة لتكون مركز مشورات الله , غير مهمه في نظر الناس ولكن مهمّة لقلب الله ولكل خطه الماضي والحاضرة والمستقبله .

" إِنْ قَسَمَ الرَّبُّ هُوَ شَعْبَهُ . يَعْتُوبُ حَبْلُ نَصِيْبِهِ . وَجَدَهُ فِي أَرْضٍ قَفْرٍ وَفِي خَلَاءٍ مُسْتَوْحِشٍ حَرْبٍ . أَحَاطَ بِهِ وَلَا حَظَّهُ وَصَانَهُ كَحَدَقَةٍ عَيْنِهِ . " - وهو العضو الأكثر حساسية في جسم الإنسان , ولا يتحمل أيّ ضربة .

" كَمَا يُحَرِّكُ النَّسْرُ عَشَّهُ وَعَلَى فِرَاحِهِ يَرْفُ وَيَسْطُ جَنَاحِيهِ وَيَأْخُذُهَا وَيَحْمِلُهَا عَلَى مَنَاكِبِهِ " - لتدربها على الطيران ويحفظها من السقوط . هكذا الله يسمح لن بأن نسقط ونقع من عشوشنا لكي يعلمنا ويدربنا على الطيران والتّحليق , ولكن دائماً تبقى أجنحته ليرفعنا كي لا تصدم بجحر رجلنا .

" هَكَذَا الرَّبُّ وَحْدَهُ أَقْتَادُهُ وَلَيْسَ مَعَهُ إِلَهٌ أُجْنَبِيٌّ . أَرْكَبُهُ عَلَى مُرْتَفَعَاتِ الْأَرْضِ فَأَكُلُ ثَمَارَ الصَّخْرَاءِ وَأَرْضَعُهُ عَسَلًا مِنْ حَجَرٍ وَزَيْتًا مِنْ صَوَانِ الصَّخْرِ وَزَيْدَةً بَقَرٍ وَلَبَنَ غَنَمٍ مَعَ شَحْمِ خِرَافٍ وَكِبَاشٍ أَوْلَادِ بَاشَانَ وَثِيْبُوسٍ مَعَ دَسَمٍ لُبِّ الْجَنْطَةِ وَدَمَّ الْعَنْبِ شَرِبْتَهُ حَمْرًا " .

— لا يوجد لهذا الكلام علاقة بالكنيسة — كي لا ننزل من مقامها الى المستوى الأرضي , فإنها غريبة عن الأرض ونصيبها ورجائها وبيتها وميراثها بالسماء ولا علاقة لها بسياسة العالم الحاضر ولا بمجرى تاريخ العالم , فنحن في العالم ولكننا لسنا منه : صحيح علينا الصلاة لأجل السلطات القائمة والذين هم في منصب ولكن لا شركة بين المؤمن وغير المؤمن . ولا يجوز لنا الخلط بين إسرائيل والكنيسة (الأرضيات والسمويات) .

" فَسَمِنَ يَسُورُونَ وَرَفَسَ . سَمِنَتْ وَعَلَطَتْ وَأَكْنَسِيَتْ شَحْمًا! فَرَفَضَ إِلَٰهَ الَّذِي عَمِلَهُ وَعَبَّىٰ عَنْ صَحْرِهِ خَلَاصِهِ. أَغَارُوهُ بِالْأَجَانِبِ وَأَغَاظُوهُ بِالْأَرْجَاسِ. ذَبَحُوا لِأَوْثَانٍ لَيْسَتْ لِلَّهِ. لِإِلَٰهَةٍ لَمْ يَعْرِفُوهَا أَحَدًا قَدْ جَاءَتْ مِنْ قَرِيبٍ لَمْ يَرَهُيَهَا أَبَاؤُكُمْ. الصَّخْرُ الَّذِي وَلَدَكَ تَرَكْتَهُ وَكَسَيْتَ اللَّهُ الَّذِي أَبْدَأَكَ " — كل واحد منا معرض للسقوط في هذا الفخ , حيث من الخطر استعمال بركات الرب لإشباع الملذات بكيفية تحجب أنظارنا عن المعطي , فنسمن ونرفس وننسى الله , وأن الرب يسوع هو كل غرضنا وملتفت الى أمور أخرى وتعتبر خطيئتنا أعظم من بني إسرائيل لأن إمتيازاتنا أعظم وشركتنا مع الآب وإبنة وبكوننا موضوع محبة الله التي أعطتنا إبنة من السماء , وروحه ليسكن فينا وأجلستنا معه في السمويات (أقصى ما يستطيع الله أن يقدمه)

" فَرَأَى الرَّبُّ وَرَدَلَ مِنَ الْعَيْظِ بَنِيهِ وَبَنَاتِهِ. وَقَالَ أَحْبَبْتُ وَجْهِي عَنْهُمْ وَأَنْظُرُ مَاذَا تَكُونُ آخِرَتُهُمْ " — إنها حقاً نهاية محزنة وأخرة تعييسة !

" إِنَّهُمْ جِيلٌ مُتَقَلِّبٌ أَوْلَادٌ لَا أَمَانَةَ فِيهِمْ. هُمْ أَغَارُونِي بِمَا لَيْسَ إِلَيَّ أَغَاظُونِي بِأَبَاطِيلِهِمْ. فَأَنَا أُغَيِّرُهُمْ بِمَا لَيْسَ شَعْبًا بِأُمَّةٍ غَيْبِيَّةٍ أُعِيْظُهُمْ. إِنَّهُ قَدْ أَشْتَعَلَتْ نَارٌ بَعْضِي فَتَنَّتْهُدًى إِلَى الْهَٰوِيَةِ السُّفْلَىٰ وَتَأْكُلُ الْأَرْضَ وَعَلَتَهَا وَتَحْرِقُ أَسْسَ الْجِبَالِ. أَجْمَعُ عَلَيْهِمْ سُورًا وَأَقْدِمُ سِهَامِي فِيهِمْ إِذْ هُمْ حَاوُونَ مِنْ جُوعٍ وَمَنْهُو كُونَ مِنْ حُمَىٰ وَدَاءٍ سَامٍ. أُرْسِلُ فِيهِمْ أَتْيَابَ الْوُحُوشِ مَعَ حُمَةِ رَوَاحِفِ الْأَرْضِ. مِنْ خَارِجٍ أَلْسِفُ يَنْكَلُ وَمِنْ دَاخِلِ الْخُدُورِ الرَّعْبَةُ. أَلْفَتِي مَعَ الْفَنَاءِ وَالرَّضِيعُ مَعَ الْأَشْيِبِ " — نجد هنا تلخيص لكل تعاملات الله التاديبية مع شعبه . (العبرانيين 10: 31) مُخِيفٌ هُوَ الْوُقُوعُ فِي يَدَيِ اللَّهِ الْحَيِّ!

فبما أن الله هو الذي دعاهم ليكونوا أمة وشعباً مخصصاً له وجب عليهم أن يسلكوا حسبما يليق بهذا المركز العجيب ومتطلبات الدعوة المباركة . ولكن على كل مؤمن مراجعة تاريخ بني إسرائيل , ليستفيد منه ومن ضرورة السير باحتراس وأمانة حسب المركز الذي حصل عليه ! إن حصولنا على هذه الإمتيازات السامية لا يعطينا الحق في السلوك بتهاون أو إحتقار التصائح التي نتعلمها من تاريخ شعب الله . فلنجتهد لعمل كل شيء كي نكون مرضيين عنده

" قُلْتُ أَبَدُدُهُمْ إِلَى الرُّوَابِ وَأُطْلُ مِنَ النَّاسِ ذِكْرَهُمْ. لَوْ لَمْ أَحْفَ مِنْ إِغَاظَةِ الْعَدُوِّ مِنْ أَنْ يُنْكَرَ اضْدَادُهُمْ مِنْ أَنْ يَقُولُوا: بَدْنَا أَرْتَقَعْتَ وَلَيْسَ الرَّبُّ فَعَلَ كُلَّ هَذِهِ " — يستعمل الله أحيانا كثيرة أناس يركبهم فوق رؤوسنا ولكن إذا أفرط هؤلاء في إظهار العداوة لشعب الرب , يكسر الرب هذه العصا , وكل ذلك لمجد الرب وخير المؤمن .

28 «إِنَّهُمْ أُمَّةٌ عَدِيمَةُ الرَّأْيِ وَلَا بَصِيرَةَ فِيهِمْ. لَوْ عَقَلُوا لَفَطَنُوا بِهِذِهِ وَتَأَمَّلُوا آخِرَتَهُمْ. كَيْفَ يَطْرُدُ وَاحِدٌ أَلْفًا وَيَهْزِمُ أَتَّانَ رَيْوَةَ لَوْلَا أَنَّ صَحْرَهُمْ بَاعَهُمُ وَالرَّبُّ سَلِمَهُمْ؟ لِأَنَّهُ لَيْسَ كَصَحْرِنَا صَحْرُهُمْ وَلَوْ كَانَ أَعْدَاؤُنَا حَاكِمِينَ " — المجد للرب يسوع — الصخر الحقيقي الذي لا يخزي ونستطيع الإنكال عليه .

" لِأَنَّ مِنْ جَفْنَةٍ سُدُومَ جَفْنَتَهُمْ وَمِنْ كُرُومِ عَمُورَةَ. عَنْهُمْ عَنَبٌ سَمٌّ وَلَهُمْ عَنَاقِيدُ مَرَارَةَ. حَمْرُهُمْ حُمَةُ النَّعَابِينَ وَسَمُّ الْأَصْلَالِ الْقَاتِلِ. أَلَيْسَ ذَلِكَ مَكْنُوزًا عِنْدِي مَحْتُومًا عَلَيْهِ فِي خَزَائِنِي؟ لِيِ التَّقِيَّةُ وَالْجَزَاءُ. فِي وَقْتِ نَزْلِ أَقْدَامِهِمْ. إِنَّ يَوْمَ هَلَاكِهِمْ قَرِيبٌ وَالْمَهْيَاتُ لَهُمْ مُسْرِعَةٌ. لِأَنَّ الرَّبَّ يَدِينُ شَعْبَهُ وَعَلَى عِبِيدِهِ يُشْفِقُ. حِينَ بَرَى أَنْ أَلِيدَ قَدْ مَضَتْ وَلَمْ يَبْقَ مَحْجُورٌ وَلَا مُطْلَقٌ يَقُولُ:

أَيْنَ آهَتَهُمُ الصَّحْرَةُ الَّتِي التَّجَّأُوا إِلَيْهَا الَّتِي كَانَتْ تَأْكُلُ شَحْمَ دَبَابِحِهِمْ وَتَشْرَبُ حَمْرَ سَكَائِهِمْ؟ لَتَقُمْ وَتُسَاعِدَكُمْ وَتَكُنْ عَلَيْكُمْ حِمَايَةً. انظُرُوا الْآنَ! أَنَا أَنَا هُوَ وَلَيْسَ إِلَهٌ مَعِي. أَنَا أُمِيتُ وَأُحْيِي. سَحَقْتُ وَإِنِّي أَشْفِي وَلَيْسَ مِنْ يَدِي مُخْلَصٌ. إِنِّي أَرْفَعُ إِلَى السَّمَاءِ يَدِي وَأَقُولُ: حَيٌّ أَنَا إِلَى الْأَبَدِ. إِذَا سَنَنْتُ سَيْفِي الْبَارِقَ وَأَمْسَكْتُ بِالْقَضَاءِ يَدِي أَرُدُّ نَقْمَةً عَلَى أَوْلَادِي وَأَجَارِي مُبْغِضِي. أُسْكِرُ سِهَامِي بِدَمٍ وَيَأْكُلُ سَيْفِي لَحْمًا. بِدَمِ الْقَتْلَى وَالسَّبَابَا وَمِنْ رُؤُوسِ قُوَادِ الْعَدُوِّ " - يا له من قضاء رهيب يضع الإنسان نفسه تحته إذا ما عادى الله - نرى أيضاً الإعلان بتجديد كل إسرائيل ورد نفوسهم في المستقبل -

43«تَهَلَّلُوا أَيُّهَا الْأُمَمُ شَعْبُهُ لِأَنَّهُ يَنْتَقِمُ بِدَمِ عِبِيدِهِ وَيَرُدُّ نَقْمَةً عَلَى أَوْلَادِهِ وَيَصْفَحُ عَنْ أَرْضِهِ عَنْ شَعْبِهِ». - نرى بهذا النشيد

النظم والأوامر التي أصدرها الرب للامم مما له علاقة بالمقاصد الإلهية من نحو نسل إبراهيم !

" فَأَتَى مُوسَى وَنَطَقَ بِجَمِيعِ كَلِمَاتِ هَذَا النِّشِيدِ فِي مَسَامِعِ الشَّعْبِ هُوَ وَيَسُوعُ بْنُ نُونٍ وَلَمَّا فَرَعَ مُوسَى مِنْ مُخَاطَبَةِ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ بِكُلِّ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ قَالَ لَهُمْ: «وَجُهِوا قُلُوبَكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي أَنَا أَشْهَدُ عَلَيْكُمْ بِهَا الْيَوْمَ لِكَيْ تُوَصُوا بِهَا أَوْلَادَكُمْ لِيَحْرُصُوا أَنْ يَفْعَلُوا بِجَمِيعِ كَلِمَاتِ هَذِهِ التَّوْرَةِ. لِأَنَّهَا لَيْسَتْ أَمْرًا بِإِطْلَاقٍ عَلَيْكُمْ بَلْ هِيَ حَيَاتِكُمْ. وَبِهَذَا الْأَمْرُ تُطِيلُونَ الْأَيَّامَ عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتُمْ عَابِرُونَ الْأَرْضَ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكُوهَا " - موضوع هذا النشيد تعامل الله السياسي مع إسرائيل والامم , دائرة إختصاصه الأرض التي مركزها كنعان . نراه يبحث الشعب على القيام بواجبه : الطاعة القلبية غير المشروطة لكلمة الله والتي هي سر النجاح والسلام والنمو والرخاء وكل شيء - ويا له من واجب مقدس : طاعة كاملة بلا قيد ولا شرط لجميع وصايا الرب يسوع الثمينة .

" وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى فِي نَفْسِ ذَلِكَ الْيَوْمِ: إِصْعَدْ إِلَى جَبَلِ عِبَارِيمَ هَذَا جَبَلِ بُنُو الَّذِي فِي أَرْضِ مُوَابَ الَّذِي قُبَالَةَ أَرِيحَا وَأَنْظُرْ أَرْضَ كَنْعَانَ الَّتِي أَنَا أُعْطِيهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مُلْكًا وَمُتْ فِي الْجَبَلِ الَّذِي تَصْعَدُ إِلَيْهِ وَأَنْضِمْ إِلَى قَوْمِكَ كَمَا مَاتَ هَارُونَ أَخُوكَ فِي جَبَلِ هُورٍ وَضُمَّ إِلَى قَوْمِي. لِأَنَّكُمْ خُنْتُمَانِي فِي وَسَطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِنْدَ مَاءِ مَرِيْبَةَ قَادِشَ فِي بَرِّيَّةِ صِينٍ إِذْ لَمْ تُقَدِّسَانِي فِي وَسَطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَإِنَّكَ تَنْظُرُ الْأَرْضَ مِنْ قُبَالَتِهَا وَلَكِنَّكَ لَا تَدْخُلُ إِلَى هُنَاكَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنَا أُعْطِيهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ "

إذا كان موسى الخادم العظيم لم يفلت من قضاء الله لفرطه بشفتيه فما نهاية أولئك الذين يعيشون يوماً بعد يوم وسنة بعد سنة متعمدين الإغفال وصايا الله واعتادوا رفض سيادة وسلطان الله عليهم ؟

إن ما يسر قلب الله هو : القلب المنكسر والذهن المنسحق والمتضع .

كنيسة " بيت إيل " المحلية كنסיيت בית אל המקומית Bethel Local Church

شارع صهيون 3 حيفا 33092 * רח צהיון 3 חיפה 33092 * 3 Zion St. Haifa 33092 Israel
